شبهاتُ المستشرقين حولَ مصدر القرآن الكريم

سحر تركي مهجهج
كلية العلوم الإسلامية / جامعة بابل

The suspicions of Orientalists about the source of the Noble Qur'an alcarim

Sahar Turky Muhjaj
College of Islamic Sciences / University of Babylon
Email: shrtrkymhjhj@gmail.com

ملخص البحث

يركز بحثنا على الشبهات التي أطلقها المستشرقون حول مصدر القرآن الكريم ، التي تزعم أنّ القرآن الكريم مأخوذ من اليهودية ، والمسيحية الوثنية ، والحنيفية ، والزرادشتية، والرد عليها وتبيان تهافتها وزيفها، وكيف حاول هؤلاء المستشرقون إزالة القدسية من القرآن العظيم الذي هو مصدر قوة المسلمين ؛ وذلك عن طريق نقل الآيات الكريمة من وضعها الإلهي إلى الوضع البشري عبر إجراءات وعمليات منظمة بها ينتهي بالقرآن الكريم بوصفه نصًّا لغويًّا لا يختلف عن النصوص العربية ، و قد تضمن البحث تمهيد وثلاثة مطالب وعلى النحو الآتي :

المطلب الأول / شبهات حول كون القرآن الكريم مأخوذًا من اليهودية والرد عليه.

المطلب الثاني / شبهات حول كون القرآن الكريم مأخوذًا من المسيحية والرد عليها.

المطلب الثالث / شبهات حول كون القرآن الكريم مأخوذًا من الوثنية الجاهلية والحنيفية والزرادشتية والصابئة والرد عليها.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق، المستشرقون، الشبهات ، اليهودية ، المسيحية .

Abstract

Our research focuses on the suspicions made by orientalists about the source of the Noble Qur'an that claim that the Noble Qur'an was taken from Judaism Christianity paganism Hanafi Zoroastrianism and to respond to them and to explain their falsity and falsity and how these orientalists tried to remove the sanctity of the great Qur'an that is the source of Muslim power During the transfer of the noble verses and their divine status to the human condition through organized procedures and processes that end with the Holy Qur'an as a linguistic text that does not separate from the rest of the Arabic texts. The research included an introduction and three topics as follows:

The first demand / suspicions about the Noble Qur'an being taken from Judaism and a response to it.

The second requirement / suspicions about the Noble Qur'an being derived from Christianity and responding to it.

The third requirement / suspicions about the Noble Qur'an being taken from the tap and responding to it.

The fourth demand / suspicions about the Noble Qur'an being taken from the Sabeans and responding to them.

The fifth requirement / suspicions about the Noble Qur'an being taken from Zoroastrianism and the response to it.

Key words: Orientalism, Orientalists, suspicions, Judaism, Christianity.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ربِ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمَّد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد ...

فقد عدَ القرآن الكريم قلعة المسلمين ومنبع دينهم ووحدتهم، والجامع لكلمتهم على اختلاف مشاربهم ومواطنهم ، فهو عماد حياتهم على مختلف مستوياتهم ، ومرتبطًا بهم ارتباطًا وجوديًا منذ أن انطلقت أول آياته المباركات، لتكون الدستور الأبدي للمسلمين، ولما كان الأمر كذلك، فإنّ الحملات المغرضة استهدفت هذا السفر الجليل بافتراضات وأباطيل، حاولت النيل من أصله الإلهي، ونزع القداسة منه كأساس للقضاء على المسلمين ودينهم الحنيف، وقد انطلقت هذه الحملات على يد المستشرقين الغربيين منذ أمد طويل ، وما تزال مستمرة حتى الآن؛ ممَّا يدل على قوة ونفاذ هذا الدين، وإصرار المستشرقين ودأبهم ومن خلفهم دوائر ومؤسسات مشبوهة عجزت عن تحقيق هذا المسعى بقوة السلاح، فلجأت الى إثارة الشبهات والأضاليل، ويعد موضوع مصادر القرآن الكريم أحد أبرز المواضيع التي أنكبّ عليها المستشرقون، فأثاروا الكثير من الشبهات في هذا الصدد والتي يصعب حصرها، وتسعى هذه الشبهات إلى النيل من الإسلام ودستوره القرآن الكريم، ولقد كرس المستشرقون جهودهم المالية والفكرية بدراسة القرآن الكريم والإسلام، والوقوف منها موقف الخصومة والاستنكار حتى أضحى القرآن الكريم هو أغنى المواضيع عندهم على الإطلاق، وأنشأ المستشرقون معاهد وكليات غرضها الرئيس هو محاربة الأمة الإسلامية في قرآنها وعقيدتها ، وأخلاقها وسلوكها، والعمل على غرس مبادئ الكفر والإلحاد في نفوس المسلمين وأبنائهم، وهدم القيم الصحيحة الموجودة في القرآن الكريم .

التمهيد

أولًا: مفهوم الاستشراق

الاستشراق لفظة مولدة من (استشراق) المأخوذة من مادة (شرق) واستعمالها المُحدث ترجمة لكلمة orientalism التي ترمز إلى مجال الاهتمام بهذا الحيِّز المكاني من الكون وهو المشرق، أمّا المحققون فيقولون : (علماء المشرقيات) ولكن كلمة (مستشرقون) أكثر شيوعًا خاصةً في الآونة الأخيرة[١].

ويعني الاستشراق لغةً طلب علوم الشرق ؛ لأنّ الألف والسين والتاء إذا دخلت على الفعل فإنها تعني الطلب [٢].

ويطلق الاستشراق اصطلاحًا على: (عناية الغرب بدراسة آداب وثقافة أقطار الشرق كالصين، والهند، وفارس واليابان، والعالم العربي الإسلامي وغيرها، في مجال الاستشراق برع عدد من الأوربيين فسُموا بالمستشرقين) [٣]

وذكر المستشرق الفرنسي (مكسيم رودن سون) أنّ مصطلح الاستشراق ظهر باللغة الفرنسية عام ١٧٩٩م، وظهر بالإنجليزية عام ١٨٣٨م، وأنّ الاستشراق إنّما ظهر للحاجة الى إيجاد فرع متخصص من فروع المعرفة لدراسة الشرق ، فضلًا عن أنّ الحاجة كانت ماسة لوجود متخصصين للقيام بإنشاء المجلات والجمعيات والأقسام العلمية [٤].

وقدم الدكتور محمد حسين علي الصغير في كتابه (المستشرقون والدراسات القرآنية) تعريفًا للمستشرق مفاده : (هو الغربي الذي يدرس تراث الشرق، وكل ما يتعلق بتاريخه، ولغاته، وآدابه وفنونه، وعلومه، وتقاليده وعاداته)[٥].

فالمستشرق إذن ينتمي الى الغرب، ولا يستحق الياباني أو الهندي ، أو العربي أن يوصف

(١) ينظر : الأثر الاستشراقي في موقف محمَّد أركون من القرآن الكريم، محمَّد بن سعيد السرحاني ، ٣-٤
(٢) ينظر : الوحي القرآني من المنظور الاستشراقي ونقده ، ١٣
(٣) المستشرقون البريطانيون ، ٨
(٤) ينظر: الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية ، ٢٧
(٥) المستشرقون والدراسات القرآنية ، ١١

بهذا الوصف؛ لأنّه شرقي بحكم مولده وبيئته وحضارته، وليس ضروريًا أن يرحل المستشرق إلى الشرق ليعيش فيه ، أو يتطبَّع بطباعه أو حضارته ، فقد يقوم بذلك في جامعة غربية ، أو في بلده وإن كان رحيله الى الشرق يجعل دراسته أكثر فائدة ، وأقرب إلى الواقعية، كما أنّه يتحدث باللغات الشرقية، وإن كان الإلمام بها ، أو إجادتها يعينه كثيرًا في دراسته وأبحاثه.[1]

ثانيًا: شبهات المستشرقين حول القرآن الكريم:

لقد كان اتصال المستشرقين بالعالم الإسلامي عن طريق القرآن الكريم ، بل إنّهم اتخذوه سبيلاً للولوج إليه ولأجل دراسته قاموا بترجمته، وكانت الترجمة منها توافق أهدافهم ، أو تنسجم مع أهدافهم التي رسمتها لهم مؤسساتهم البشرية آنذاك، وقد جاء هذا الاهتمام بعد فشلهم في الحروب الصليبية ، ولما أحسوا بفشلهم في ردع الإسلام بآلة الحرب، اتجهوا بمحاربته عن طريق توسيع معرفتهم بالعالم الإسلامي من الداخل ؛ لذا احتاجوا إلى ترجمة القرآن الكريم بوصفه دستور المسلمين الأول [2] ، ومن ذلك لجأ المستشرقون الى الطعن بمصدر القرآن الكريم الإلهي ، إذ إنَّهم بهذا الطعن في دستور المسلمين يحققون غرضهم الحقيقي، وهو القضاء على الدين الإسلامي، ومنع تغلغله في نفوس وأفئدة أبناء جلدتهم، وإضعاف المسلمين الذين تمسكوا بالقرآن الكريم وصار مصدر قوتهم ومنهاج حياتهم، ومن ثمَّ يتمكنوا من السيطرة على المسلمين عن طريق تهويدهم ، أو تنصيرهم وأساليب الطعن في المصدر الإلهي للقرآن الكريم عديدة ، فقد أثار المستشرقون شبهات يمكن تلخيصها في النقاط الآتية [3]:

١- القرآن من صنع محمد وليس من عند الله مستعينًا بعدة أشخاص.

٢- إنَّ النبي ﷺ استقى مادة القرآن ولا سيما قصصه من الأحبار والرهبان أي أنّ مصادر القرآن من الديانات اليهودية والنصرانية.

(١) ينظر : المستشرقون والتاريخ ، ٢٢
(٢) ينظر: أساليب فهم النص القرآني ومصادر دراسته عند المستشرقين ،١٠
(٣) ينظر : المستشرقون والقرآن الكريم ، ٢١٦

٣- القرآن حُرّف بعد موت النبي ﷺ .

٤- إنَّه من صنع العرب.

٥- الوحي نتيجة نوبات الصرع التي تنتاب النبي ﷺ وتسلمه لحالة من الاجهاد ، فإذا أفاق فأوحى له أنّه أوحي إليه .

وزيادة على هذه الشبهات الاستشراقية التي تزعم بشرية القرآن ، فقد أرجع المستشرق الانجليزي - مونتغمري واط - الوحي الى التصور الخلاق ، أو التصور الخالق فالوحي في رأي (واط) لا يعدو كونه نوعًا من النشاط الذهني المتوقد لدى النبي ﷺ .[١]

ويبدو أنّ كثرة هذه الشبهات إنّما تهدف إلى زعزعة اعتقاد المسلمين بأصل القرآن الكريم الإلهي فإذا ما بطلت شبهة ما لجأوا إلى إثارة شبهات أخرى ، كما أنّها تشير إلى مدى التهافت والنية السيئة للنيل من الدين الإسلامي وحضارته الإنسانية ، هذه النية التي لا تفتأ تستعر وتتجدد وتتواصل حتى يومنا هذا .

إنّ غالبية هذه الشبهات تدور حول أخذ الرسول ﷺ من الأديان التوحيدية السابقة (اليهودية والمسيحية)، ومن بقية الأديان كالصابئية والزرادشتية ، والحنيفية والوثنية ، وقد لخص المستشرق (سنكلير تزدل) هذه الشبهات بقوله :" إنّ شرائع الإسلام أسست من شرائع الأديان المعاصرة له ، والمنتشرة وقتئذ في الشرق ألا هي : اليهودية والمسيحية والهندية والصابئية والفارسية والجاهلية)[٢].

وقد أثار المستشرقون هذه الشبهات بقصد إضعاف الإسلام والقضاء عليه ، لئلا يتغلغل في نفوس أبناء جلدتهم، وكانوا يهدفون إلى الإيحاء بأنّ هذه العقائد والتعاليم التي أتى بها الإسلام موجودة في كتبهم المقدسة نفسها ، وأنّ النبي محمد ﷺ استقاها من هذه الكتب ، ومن ثمَّ فلا حاجة بهم إلى الإسلام وتعاليمه - حسب زعمهم - صادرة عن بشر، وليس وحيًا من عند الله تعالى .

(١) ينظر : الوحي القرآني من المنظور الاستشراقي ونقده ، ٦
(٢) الاستشراق والتبشير ، ٦٧

المطلب الأول / شبهات حول كون القرآن الكريم مأخوذًا من اليهودية والرد عليه.

إنّ شبهة استمداد الرسول ﷺ من التوراة واليهودية فرية قديمة قال بها معاصرون للرسول ﷺ، وقد ذكر القرآن الكريم هذه الفرية في عدة آيات كريمات منها قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [سورة النحل / ١٠٣]

وقد نشط المستشرقون كثيرًا في التأكيد على هذه الفرية ، وألّفوا كتبًا ودراسات تُؤصّل لمصادر توراتية أو ما معنى شبه توراتية في القرآن الكريم ، ولكن أصبحت لهذه الفرية سمات تبدو علمية منذ بداية القرن التاسع عشر وهذه الدراسات تقسم على قسمين : دراسات ذات توجه مسيحي، ودراسات ذات نزعة يهودية، مثل دراسة (إبراهام جيجر) المسماة (ماذا أخذ محمد من النصوص اليهودية) ، و(أبحاث جديدة في فهم وتفسير القرآن) ودراسة المستشرق (سيد يسكي) الموسومة بـ(أصل الأساطير في القرآن) ، ودراسة (هايزيش سبرنجر) بعنوان (قصص الإنجيل في القرآن) ، وكذلك دراسة (هورفيز) و (إسرائيل شابير)، يقول المستشرق اليهودي جيجر في الكتاب المذكور آنفًا: إنّ القرآن مأخوذ باللفظ ، أو بالمعنى من كتب اليهود [1]

وقد ظهر قبل سبع وثمانين سنة في مدينة (برسلاد) كتاب (القصص التوراتي في القرآن) للمستشرق الألماني (هاينز شبيبار) والذي ذكر مؤلفه أنّ الدراسات التي خصصها المستشرقون على مدار السنوات المئة الاخيرة دلت صراحة على أن التطورات غير العربية التي اقتبسها الرسول ﷺ من غيره سواء في مواجهاته التشريعية أو السياسية ، كما ذكر أنّه بظهور كتاب جيجر (ماذا أخذ محمد من نصوص اليهودية؟) بات تأثير مقدار اليهودية على الرسول حسب زعمه واضحًا ، وقال إنّ دراسته افترضت اقتباس الرسول لكثير من التعاليم والمفاهيم والآراء منذ زمن بعيد ، وقد ضمنها قرآنه بما يناسب التصورات التي كانت سائدة

(١) ينظر : الدفاع عن القرآن ضد منتقديه ، ٣١-٥٤

في عصره ، وأنّ قصص العهد القديم تحتل الجانب الأكبر من القرآن [١]، ويطلق (شبيبار) على المؤلفين المستشرقين الستة الكبار السابقين اسم (أعمدة هذا العلم)؛ لأنّهم وضعوا أسس الاستشراق ومرتكزاته فقبل أن يطلع (جيجر) بكتابه سنة ١٨٣١م فإن كل ما كتب عن الإسلام ونسب إليه لم يكن معترفًا به على الصعيد الرسمي الأكاديمي، وبعد ذلك فقد فتح الباب وبدأ الحديث عن علمنة حركة الاستشراق واخراجها من دهاليز الإكليروس وسلطة اللاهوت فجيجر صَدَّر- بلهجة الواثق بعلمه المطمئن إلى اتجاهات عصره - كتابه بالشروط والضوابط التي يجب مراعاتها عند الجزم بعمليات الأخذ والاقتباس فقال عنها :

أ/ وجود عنصر أو أكثر من العناصر المشتركة بين الديانتين (الإسلام واليهودية).

ب/ لا تصح المقابلة بين المقولات القرآنية واليهودية إلّا إذا ثبت لنا أنّ تدوين الثانية تم قبل الأولى ، وأنّها كانت موجودة في حوزة الكنيست.

ج/ إنّ على الباحث أن يجتهد ويكد في معرفة ما إذا كان مجرد التشابه بين فريقين عقائديين مختلفين يعني بالضرورة أخذ الواحد عن الآخر [٢].

إنّ صلة اليهود بالاستشراق صلة وثيقة تعود إلى فترة هزيمة الغرب في الحروب الصليبية، هذه الهزيمة التي منعتهم من تحقيق مآربهم في احتلال أراضي العالم العربي ، واستعباد شعوبه وتفريق وحدته وعلى الرغم من انصراف الغرب إلى مصالحه الخاصة وشواغله الداخلية مؤقتًا إلَا أنّ فكرة بيت المقدس ظلت تراود أفكار الغرب قرونًا ؛ إذ دخلت قواته بيت المقدس عام ١٩٧١م، ليتحول الصراع بين المسيحية الغربية والعالم الإسلامي ليصبح بين الكيان الصهيوني ودول الشرق الإسلامي ، إذ ناصرت القوى الاستعمارية في العالم الغربي اليهود [٣]، وقد وجد اليهود في الاستشراق بابًا خطيرًا من أبواب التسلل إلى البلاد التي يحلمون بالسيطرة عليها فتخصص قسم منهم بالدراسات الشخصية ، واحتل اليهود معظم كراسي الدراسات الشرقية في الجامعات الكبرى وأخذوا يخدمون الأغراض اليهودية

(١) ينظر: المستشرقون والقرآن دراسة نقدية لمناهج المستشرقين ، ٨٥

(٢) ينظر: المستشرقون والقرآن الكريم ، ٥٦

(٣) نظر : المصدر نفسه ، ٢١٦.

الصهيونية تحت شعار أغراض المستشرقين المسيحيين ، وأغراض الدوائر الاستعمارية [١].

ويعتقد زقزوق أنّ صعوبة تحديد أسباب انخراط اليهود في سلك حركة الاستشراق وأثرهم في ذلك يرجع إلى أنّ اليهود استطاعوا أن يُكيّفوا أنفسهم ، ليصبحوا عنصرًا أساسيًا في إطار الحركة الأوربية النصرانية إذ أنّهم دخلوا الميدان بوصفهم الأوربي ، لا بوصفهم اليهودي (فجولد تسيهر) وهو يهودي أصبح زعيم علماء، قال: (اقتبس النبي عن التوراة فكرة الخطيئة الأصلية وإنّما ترجع معتقداته فيما يتعلق بالعالم الآخر الى المصادر اليهودية)[٢]، كما زعم (بيدرو دي ألفنسو) الذي ينتهي في أصله ونسبه إلى إسرائيل أنّ مرجع القرآن اليهودي وإنّ صاحب القرآن حاخام إسرائيلي مجهول الاسم [٣]، كما زعم بعض المستشرقين أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلَم) أخذ مادة القرآن ولا سيما قصصه من الأحبار والرهبان الذين كان يلقاهم ، أو يتصل بهم في مكة، ومن هؤلاء المستشرقين (جولد تسيهر)، (بلاشير)، (جون نوس) أستاذ الفلسفة في كلية فرانكلين ومارشال الأمريكية في كتابه (أديان الإسلام) يقول : (إنّ الإسلام يزهو ويفاخر بأنّ القرآن الكريم يكمل أنصاف الحقائق التي جاءت بها الأديان السابقة مع أنّ كل من له دراية بالأديان العالمية يدرك لأول وهلة عند قراءة القرآن أنّ محمدًا نقل كثيرًا من تعاليم الأديان الأخرى ومع أنّه أعتمد كثيرًا على التقاليد الموسوية والمسيحية) [٤].

ويمكن تلخيص الشبهات عن المصدر اليهودي للقرآن والتي صدرت من المستشرقين مثل (تسدال) و (ماسيه) و (أندريه) و (لامنز) و (جولد تسيهلر) و (نودلكة) بأمور أهمها :

١- تشابه القرآن الكريم والكتب اليهودية في القصص كقصة ابني آدم وقتل أحدهما للآخر ، وقصة إبراهيم وإنقاذه من نار النمرود وقصة سليمان مع ملكة سبأ ، وقصة هاروت

(١) ينظر: الاستشراق والتبشير ، ٦٧
(٢) أوروبا والإسلام ، ٥٢
(٣) ينظر : ما يقال عن الإسلام ، ٤٦٢
(٤) المستشرقون والقرآن الكريم ، ٢١١

وماروت وقصة موسى وغيرها.

٢- التشابه في بعض القضايا العقدية والتشريعية والحث على مكارم الأخلاق .[١].

[الرد على شبهات المصدر اليهودي للقرآن]

يقول محمد هاشم عطية في الرد على شبهة المصدر اليهودي لقصص القرآن : " إنّ القصص في القرآن وإن وجد منه في الشعر، أو كان متفقًا مع ما وردت به من شرائع المتقدمين إنّما يجيء دائمًا على نمط يخالف مذاهب المؤرخين في توخيهم لسرد الحوادث كما هي من غير محاولة لزيادة أو نقصان ، فهو يرمي إلى اتخاذ الماضي وسيلة إلى العبرة، وطريقًا إلى تقرير قواعد النظام ، والتنبيه إلى مواطن الارتفاع بأدق أساليب الاجتماع"[٢]، كما أنّ الغاية من نظم هذه القصص في القرآن، كقصة إبراهيم وسليمان ﷺ وبلقيس لم يكن تأليف التاريخ ولا حكاية حال، كما يفعل شعراء القصص وكتاب الأساطير، وإنّما الغرض هو إثارة العقول إلى النظر في حقائق الأديان وتوجيه الفكر إلى نشأة العقيدة، والتأمل في كيفية تطورها في الأجيال الماضية والإشارة إلى تأليه الإنسان القديم والظواهر الكونية ، وبسبب ما كانت تثيره في نفسه من القلق والرعب حتى يتبين له من تغييرها ، وطروء الفساد عليها عدم استحقاقها للعبادة ، وهو مسلك المنطق السليم في بلاغة الاستدلال وإلزام الحجة ، ويتكرر القصص ليتصل بالعِظة والحِكمة مع الرقي إلى الإحسان[٣].

كما أنّ القرآن الكريم أتى من أخبار الأولين مالم يكونوا يعلمون فالتوراة لم تتحدث عن أمور كثيرة ذكرها القرآن من أنباء التاريخ فالمحاورة بين الله تعالى والملائكة عن آدم، وسجود الملائكة وامتناع إبليس، وتخلف ابن نوح عن ركوب السفينة، ومناشدته إياه أن يركب، وعتاب الله لنوح، ومحاورة إبراهيم لأبيه آزر، وذهابه مع إسماعيل إلى مكة ، وبناء البيت بوادٍ غير ذي زرع ، وحديث مؤمن آل فرعون في قصة موسى ﷺ ، وصنع داود لصنع الدروع السابغة ، وقصة داود وسليمان إذ يحكمان في الحرث، وتسخير الجبال

(١) ينظر: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره دراسة ونقد ، ١/ ٣٣٥
(٢) الأدب العربي وتاريخه في التاريخ الحديث ، ٣٥٢
(٣) ينظر: المصدر نفسه ، ٣٥٣

والطير لداود، والجن والريح والطير لسليمان ﷺ، وقصة الهدهد وسبأ والصرح الممرد من القوارير، والجسد الملقى على كرسي سليمان، إنّ كل ذلك لم يأتِ في التوراة والإنجيل فإذا لم تُذكر في الكتب المقدسة فمن أين علمها محمد ﷺ إن لم تكن وحياً من عند الله ؟ [1]، وقد بين القرآن هذه الفرية وردَّ عليها، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاء بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء / ١٩٢] فالآية الكريمة تشير إلى أنّ الله تعالى أنزل القرآن الكريم على نبيه بواسطة وَحْيه بلسان عربي فصيح ليكون نبيًا واضحًا ظاهرًا قاطعًا للعذر مقيماً للحجة دليلاً على المحبة [2]، وأنّ ادعاء المستشرقين أنّ محمدًا ﷺ استمد معارفه من اليهودية يفهم منه أنّه كان تلميذًا يجلي إلى أحبار اليهود من بني قينقاع وبني النضير وبني قريضة ويأخذ منهم العلم، وهذه الفرية باطلة؛ لأنَ القرآن الكريم يهاجمهم في مواضع متعددة من آياته ، فالقرآن نزل مصدقًا لما عند أهل الكتاب من حيث كونهما في الأصل من وحي الله إلى موسى وعيسى وداود وسليمان وغيرهم ، نزل أيضًا مهيمنًا عليها أي رقيبًا وحاكمًا، قال تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [سورة المائدة / ٤٨].

وردّ عدد من المستشرقين على هذه الافتراءات وهم الذين نشأوا في اليهودية وأحاطوا بالتوراة والتراث اليهودي علمًا وخبرًا وعرفوا الإسلام معرفة صحيحة ؛ يقول المستشرق(إدوارد مونتيه) مدرس اللغات الشرقية في مدرسة جنيف في مقدمة ترجمته الفرنسية للقرآن الكريم :(كان محمدًا نبيًا صادقًا كما كان أنبياء بني اسرائيل في القديم ، كان مثلهم يؤتي رؤيا ويوحى إليه وكانت العقيدة الدينية وفكرة وجود الالوهية متمكنتين فيه، كما كانتا متمكنتين في أولئك الأنبياء أسلافه فتُحدث فيه كما تُحدث فيهم ذلك الإلهام النفسي وهذا التضاعف في الشخصية اللذين يحدثان في العقل البشري المرائي والتجليات والوحي

(١) ينظر: موقف النقد الأدبي من الشعر الجاهلي ، ١٧٨-١٧٩

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم ، ٣ / ٣٤٧

والأحوال الروحية التي من بابها)[1] ،

اتضح مما سبق أنّ دعوة اقتباس القرآن الكريم من اليهودية دعوة باطلة ، وأنّ الحجج التي ساقها المستشرقون حججا ليس يسندها دليل علمي، أو عقلي ، وهذا التهافت نابع من قصور الفهم الذي عليه المستشرقون إزاء كتاب الله القرآن الكريم ، وطبيعة الدعوة وخصائص اللغة التي كُتب بها.

المطلب الثاني: شبهات حول كون القرآن الكريم مأخوذًا من المسيحية والرد عليها.

أثار عدد من المستشرقين مسألة أنّ النبي محمدًا ﷺ اقتبس قرآنه من المصادر المسيحية التي كانت منتشرة حول الجزيرة العربية، وأبرز هؤلاء المستشرقين (جولد تسيهر) (بلاشير) (جون نس) (ريتشارد بل) (تور أندريه) (برنارد لويس) (أندرسون) (بروكلمان) (ترتون) (مونتغمري واط).

قال المستشرق (غوستاف لوبون) في كتاب حضارة العرب : (أنّ محمدًا سافر مع عمه إلى سوريا مرةً وتعرف في بصرى على سوري في دير نصراني وتلقى منه علم التوراة) [2]، وقال المستشرق (درمنجم): (وكان محمد قد عرف الله وعرف العقيدة بالله عند نصارى سورية أو مكة) [3].

ويقول المستشرق (مونتغمري واط) : (أنّ خديجة كانت ابنة عم رجل يدعى ورقة بن نوفل بن أسد وهو رجل متدين اعتنق أخيرًا المسيحية غالبًا ، وأنّ خديجة وقعت تحت تأثيره ويمكن أن يكون محمد قد أخذ شيئًا من حماس فكرته) ، ويقول (واط) كذلك : (ويبدو ورقة من بين الذين اتصل بهم محمد لسبب معرفته بكتب المسيحية المقدسة ، ولا شك إنّ المقطع القرآني حين ردده محمد يجب أن يكون قد ذكره بما هو مدين بهِ لورقة) [4]، كما زعم المستشرقون أنّ القرآن قد أخذ من النصرانية : قصة أهل الكهف ، وقصة مريم العذراء

(١) الوعي الإسلامي ، ٨
(٢) حضارة العرب ، ١٠٨ .
(٣) حاضر العالم الإسلامي ، ٤٥ .
(٤) الاستشراق والتبشير ، ٤٦

وقصة طفولة يسوع [١].

وقد بين المستشرق (در منجم) بأنّ المسيحية كانت تحيط بالجزيرة العربية من كل جوانبها في مصر والحبشة واليمن ، وكانت بين بعض القبائل العربية من غسان وتغلب وبني كعب، وكانت القبائل العربية تمر بسكان هذه التخوم وتعرف عنها معلومات عن المسيحية، وكانت مكة مركز تجارة رابحة وكان بها مسيحيون منهم (جبير بن مطعم الرومي) ، ورفيقه بيسار الرومي وكان محمد ﷺ يكثر الجلوس لديها وبجانب هؤلاء المسيحيين وكان هناك الحلفاء الذين درسوا المسيحية وأخذوا عنها بعضًا وتركوا بعضها الآخر [٢].

[الرد على شبهة المصدر المسيحي للقرآن]

إنّ اللقاء بين الرسول ﷺ وبين ورقة بن نوفل، أو بين الرسول ﷺ و (بحيرا) هما من أكثر الشبهات التي ردّدها المستشرقون وزعموا أنّها الدليل القاطع على استمداد القرآن من المصادر المسيحية ، وقد انبرى عدد من المستشرقين أنفسهم لدحض هذه الفرية وبيان بطلانها، يقول المستشرق (كارادوفا) أنّ خرافة الراهب (بحيرا) التي يزعم بعض المستشرقين أنّه هو الذي علّم محمدًا العقيدة وهو الذي ألف القرآن، وأنّ هذه الخرافة ليس بها شيء يستحق الاعتبار، وأنّ هذه الاسطورة مكتوبة بالعربي، وقد نشر عنها فصلًا في مجلة (الشرق المسيحي) أكد فيها بطلان الدعوى [٣].

كما أنّ مؤلفي (دائرة المعارف الإسلامية) وهم غير مسلمين ، ولا مدافعين عن الإسلام أكدوا أنّ مقصد من كتبها هو إثبات عدم صحة النبوة المحمدية لا غير [٤].

وفي بحث آخر كتبه المستشرق (هوارت) في الجزيرة الآسيوية في أغسطس ١٩٠٤م قال : (لا تسمع في النصوص العربية التي عثر عليها ونشرت وبحثت ، منذ ذلك الوقت

(١) ينظر: المصدر نفسه ، ٦٧ وما بعدها
(٢) ينظر : صور استشراقية ، ٣٨ ٤٨
(٣) ينظر : حاضر العالم الإسلامي ، ١/ ٤٠
(٤) ينظر : المصدر نفسه ، ١/ ٤١

بأن نرى في الدور المسند إلى هذا الراهب السوري إلّا مجرد قصة من نسج الخيال)[١].

فـ (هوارت) يؤكد عدم وجود الدليل العلمي القاطع المستمد من النقوش، أو الكتابات على صدق هذه الفرية وهذه الدعوى المزعومة .

ويذكر محمد أمين أنّ ورقة مات عند نزول الوحي على النبي ﷺ ، وكان شيخاً كبيرًا قد عمي فماذا يرجى مما تقدم سنه وعمي بصره ؟ ومن أين لمحمد ﷺ تلك العلوم المتعددة التي جاءت في القرآن يتلو بعضها بعضًا على مدار ثلاث وعشرين سنة ؟ [٢].

ويورد حسن ضياء الدين عددًا من الحجج التي تؤكد أنّه لا علاقة لورقة بالوحي، وهي على النحو الآتي[٣]:

١- موقف ورقة من خبر الوحي موقف استفهام واستطلاع، مما يؤكد عدم تعليمه المزعوم للنبي ﷺ.

٢- إخبار ورقة للنبي ﷺ أنّ قومه سيعادونه ويخرجونه من البلاد، وهذا تصريح من ورقة بأن الدعوة الإسلامية دعوة ربانية.

٣- إنّ ورقة لم يَدَّعِ النبوة ولم يطلب منصبًا جديدًا بهذه الدعوى، بل اكتفى بموقف المصدق المناصر.

أما دعوى الأخذ من الراهب (بحيرا) التي أثارها المستشرق إميل درمنجم والمستشرق مونتيه، فإنّ روايات السيرة النبوية تبين أنّ عمر النبي ﷺ في الرحلة الأولى للشام والتي حدث فيها اللقاء بين النبي وبين بحيرا كان تسعًا أو اثنتي عشرة سنة ، ومن غير المعقول أن يستوعب طفل ما يمليه عليه راهب في جلسة واحدة تمت بحضور جميع أفراد القافلة ، أمّا في المرحلة الثانية فإنّ عمر النبي ﷺ كان خمس وعشرين سنة ومعه غلام خديجة (ميسرة) ولم يجتمع في هذه الرحلة براهب [٤].

(١) ينظر : مدخل إلى القرآن ، ١٣٤

(٢) ينظر : المستشرقون والقرآن الكريم ، ٢٣٩

(٣) ينظر : وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة نقض مزاعم المستشرقين ، ١٤٨

(٤) ينظر : وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة نقض مزاعم المستشرقين ، ٢٤٨

ورّد الدكتور (عبد الجليل شلبي) دعوى المستشرقين بأنّ الرسول ﷺ استمد القرآن من الرهبان المبشرين في الجزيرة وحواليها بقوله : (وليس ثمة مصدر تاريخي يشير إلى أنّ الموالي الذين كانوا بمكة وضواحيها كانوا يقومون بأعمال تبشيرية قبيل ظهور الإسلام، كما أنّ قريشاً لم تكن لتسمح لهم بمثل هذا العمل وقد رأيناها تشن حملات تعذيب عنيفة على الذين دخلوا الإسلام من الموالي ولم يسلم من أذاها كبار المسلمين السابقين...)[١]، تؤكد الروايات التاريخية أنّ اللقاء بين النبي محمد ﷺ وورقة بن نوفل تم بعد نزول الوحي عليه ممّا يدل على أنّه لا علاقة لورقة بالوحي ، وليس لآرائه تأثير في حصوله ؛ ولذلك نبه المستشرق (واط) الباحثين الغربيين إلى عدم الاستدلال إلى هذه الرواية ذاتها؛ لأنّها لا تخدم أغراضهم ووجهتهم بقوله :(ولهذا فمن الأفضل الافتراض بأنّ محمدًا كان قد عقد صلات مستمرة مع ورقة بن نوفل منذ وقتٍ مبكر وتعلم أشياء كثيرة)[٢]، وقد اختلف المؤرخون في أمر لقاء ورقة بالنبي ﷺ هل التقى ورقة بخديجة وحدها وسمع منها نبأ الوحي على الرسول أم أن ورقة قابلها مع النبي ﷺ ؟. وتشير المصادر إلى أن ورقة عندما سمع خبر الوحي وقف متأملًا ومستطلعًا ، ولو كان معلمًا لفرح بأنَّ غرسه قد أثمر لكنه أعلن صراحة بأنّ وصف النبي لملك الوحي مطابق لما عنده من صفات ملك الوحي الذي أنزله الله على موسى ؛ لذلك قال :هذا الناموس الذي نزل الله على موسى يا ليتني فيه جذعًا ليتني أكون حيًّا إذ يخرج قومك فقال رسول الله :أو مخرجي هم ؟ قال : نعم لم يأت رجلٌ قط بمثل ما جئت به إلَا عودِيَ وإن يدركني يومك نصرك نصرًا مؤزرًا[٣]، وقد سفه المستشرق(كار لايل) دعوى أن بحيرا أراد تنصير محمد ﷺ إذ ليس من الممكن أن يتعلم صبي في هذه السن من راهب ليتحدث لغة أجنبية فهذا ليس شيئاً ذا بال.[٤] ، ومما سبق ترى الباحثة أنّ دعوى تأثير القرآن بالمسيحية واقتباسه منها دعوى باطلة قامت على فرية لقاء النبي ﷺ

(١) صور استشراقية ، ٤٥-٤٦
(٢) المستشرقون والقرآن الكريم ، ٢٤٠
(٣) ينظر :فتح الباري ، ١/ ٢٨
(٤) ينظر : الاستشراق والقرآن العظيم ، ٤٨

بالراهب بحيرى ، وبورقة بن نوفل اللذين ثبت أنّه لا علاقة لهما بالوحي القرآني رغم كل المزاعم التي ساقها المستشرقون لتسويق هذه الشبهة.

المطلب الثالث / شبهات حول كون القرآن الكريم مأخوذًا من الوثنية الجاهلية والحنفية والزرادشتية والصابئة والرد عليها.

أولاً / شبهة اقتباس القرآن الكريم من الوثنية (الجاهلية)

زعم المستشرقون أنّ الوسط الوثني مصدر من مصادر القرآن الكريم، وهذه الشبهة تتردد حول التشابه الموجود في الحقائق والشعائر التعبدية والعادات ، فقد ذكر (تسدال) أنّه جرى الاستدلال منها من قبل المستشرقين على أنّ محمدًا ﷺ استقاها من البيئة التي عاش فيها [١]، وكذلك التشابه الموجود بين مقاطع من الشعر الجاهلي وبعض الآيات القرآنية، حيث زعموا منها كذلك أنّ محمدًا ﷺ استقاها من وسطه الوثني ووضعها في القرآن الكريم[٢] ، ويقول المستشرق (بروكلمان) : (إنّ الوحدانية التجريدية التي كانت إلى حد كبير أساس قوة الإسلام لم تنشأ إلّا تدريجيًا، ولقد سبقت من الإشارة إلى نزوع النبي الأول الى الاعتراف بالآله المكية الرئيسة شفعاء عند الله)[٣]

لقد زعموا أنّ الإسلام أخذ من الجاهلية : صلاة الجمعة وصوم عاشور، وتطيب البيت الحرام وحظ الذكر في الميراث مثل حظ الانثيين والتكبير ، والأشهر الحرم ، والحج والعمرة والوضوء ، وتقليم الأظافر[٤].

وزعم تسدال أنَ الوحدانية التي دعا إليها الاسلام كانت بتأثير الوسط الوثني الذي نشأ فيه الاسلام[٥].

كما زعم أنَّ هناك تشابهًا بين الإسلام والوسط الجاهلي الذي نشأ فيه جانب الشعائر

(١) ينظر : مصادر الإسلام ، ١٠١ وما بعدها
(٢) ينظر : المصدر نفسه ، ٣٠
(٣) المستشرقون والإسلام، ١٧-١٨
(٤) ينظر : المستشرقون والقرآن الكريم ، ٨٥
(٥) تاريخ القرآن، ١/ ١٩

التعبدية كالحج مثلًا بما فيه من طواف ، وتقبيل للحجر الأسود ، وسعي بين الصفا والمروة، وغير ذلك من شعائر الحجّ [١].

أمّا (سال) فزعم أنّ الاسلام أخذ من موروثات الجاهلية الاعتقاد بالجن مما يدل على أنّ الاسلام صورة عن الجاهلية [٢].

[الرد على شبهة اقتباس القرآن الكريم من الوثنية]

إنّ الدعوة التي جاء بها محمد ﷺ دعوى جديدة غير معهودة في الديانات الوثنية ، فأهل مكة كانوا يعرفون عقائد هؤلاء إذ كان منهم من يعيش في جزيرة العرب وأطرافها، لكنهم سمعوا دعوة الإسلام وقالوا كما أورد القرآن الكريم ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ [سورة ص / ٧]، كما أنّ الحج الذي أشار إليه (جولدتسير) بأنّ محمدً ﷺ احتفظ به عن الوثنية ، هو رحلة يقوم بها المسلم ببدنه وقلبه إلى بيت جعله الله رمز التوحيد والوحدة ، وقد عمل النبي ﷺ على طمس معالم الشرك وحطم بيده الأصنام التي نصبها المشركون فيه يوم الفتح ، وقد خلّص الكعبة من آثار الوثنية الجاهلية ، وأصبح شعار الحج (لبيك اللّهم لبيك وحدك لا شريك لك لبيك) ، وقد عمل الإسلام على تنقية العبادة من رواسب الوثنية ، وطقوس الشرك فالعبد في عبادته يتجه إلى الله تعالى وحده [٣].

ثانياً / شبهة اقتباس القرآن الكريم من الحنيفية

زعم عدد من المستشرقين، ومنهم (تسدال)، (مستر كانون) إلى أنّ مصدر القرآن الكريم هو الحنيفية ودليلهم على هذه الشبهة ،هو التوافق بين أحكام القرآن وبين ما يدعو إليه الحنفاء في أمور كثيرة منها :

(توحيد الله) (الحديث عن الجنة والنار) (الإيمان بالبعث والنشور) (الحشر والحساب) (أمور القيامة) وغير ذلك ؛ وزعم (شبير نجر) إنّ أفكار محمد ﷺ لا تخرج

(١) ينظر : المستشرقون والقرآن الكريم ، ١٥٥
(٢) ينظر: مذاهب التفسير الإسلامي ، ١٦٥
(٣) ينظر : المستشرقون والقرآن الكريم ، ١٥٦

عن الأفكار التي كان يدعو إليها (زيد بن نفيل) أحد هؤلاء الحنفاء [١].

وقيل في معنى الحنيفية لغة: (إنّ معنى الحنفية في الإسلام الميل إليه والإقامة على عقده، والحنيفية جمع حنيف وهو المائل الى الإسلام الثابت عليه)[٢].

والحنفاء مجموعة من الإصلاحيين الذين مالوا عن الشرك والوثنية الى التوحيد، ونبذ عبادة الأصنام، والإقرار بالبعث والنشور، وتبشير المؤمن بالجنة، وتخويف الكافرين بالنار، وقد ظهر الحنفاء في أماكن مختلفة ومتباعدة ، فظهروا في اليمن متأثرين بمبادئ التوحيد التي حملتها إليهم اليهودية والنصرانية ، وظهروا في مصر على يد أخناتون الذي كان داعية التوحيد عندهم ، وظهروا في بلاد فارس بعد مولد إبراهيم ﷺ بالدعوة نفسها ، وظهروا في الجزيرة العربية امتدادًا لدعوة إبراهيم وابنه إسماعيل فبقوا محافظين على شيء من تراث إبراهيم ﷺ من الدعوة الوحدانية ونبذ الأصنام [٣].

[الرد على شبهة اقتباس القرآن الكريم من الحنيفية]

هناك ردود عديدة في الرد على شبهة اقتباس القرآن الكريم من الحنفية يمكن إجمالها فيما يلي :

١- إنّ الرسول ﷺ لم يجلس لأحد من هؤلاء الحنفاء جلسة تعلُّم، وإنما كان لقاءً عابرًا وكانوا هم بحاجة لمن يصرفهم ويرشدهم للدين الذي يرضاه الله تعالى.

٢- إنّ ورقة بن نوفل كان حنفيًا وأخبر النبي ﷺ أنّه نبي هذه الأمة وتمنى لو يدركه ، وينصره يوم يخرجه قومه .

٣- إنّ من ينظر ما أتى به هؤلاء الحنفاء ، وتأمل في القرآن الكريم سيرى البون الشاسع بينهما ، إذ يرى ضعف ما يدعون إليه ، وبالمقابل يرى قرآنًا معجزًا في لغته وأسلوبه حتى أنّ فصحاء العرب عجزوا عن مضاهاته .

(١) ينظر : مصدر القرآن الكريم ، ٥٣-٥٥
(٢) لسان العرب ، ٩/ ٥٦-٥٧
(٣) ينظر : آراء المستشرقين حول مصدر القرآن الكريم وتفسيره ، ٢٦٤-٢٦٥

٤- إنّ القرآن الكريم استمر ينزل على رسول الله ﷺ بعد موت هؤلاء الحنفاء حسب ما تقتضيه الحاجة والمصلحة.

٥- إنّ كون الإسلام قد يلتقى مع دعوة الحنفاء في بعض ما صرح به ، وأعتقد مرده الى الآن بما عند الحنفاء من بقايا لدين إبراهيم ﷺ والإسلام ودين إبراهيم ﷺ كلاهما من مصدر واحد هو الوحي الإلهي[١].

ثالثاً/ شبهة اقتباس القرآن الكريم من الزرادشتية :

الزرادشتية هم أصحاب (زرادشت بن بورشب) الذي كانت ولادته سنة ٦٦٠ ق.م وقتل على يد الطورانيين سنة ٥٨٣ق.م. ، وزرادشت كان ابن كاهنٍ من طائفة الصابئة في جنوب العراق ، وأصبح صاحب حركة إصلاحية في بلاد فارس أبطل كل الآلهة عدا (أهورا) وقال بقوتين تتصارعان في هذا العالم الخير والشر[٢].

وأدعى الفرس أنّ زرادشت نبي وله كتاب مقدس اسمه (أوستا) ومعناه المعرفة[٣].

وقد زعم المستشرق (تسدال) أنّ القرآن الكريم اقتبس من الزرادشتية عدة قضايا : قضية الإسراء والمعراج والجنة والنار ملك الموت الصراط عزازيل (الشيطان) ، الافتتاح بالبسملة الصلوات الخمس شهادة كل نبي لمن يأتي بعده[٤].

[الرد على شبه اقتباس القرآن الكريم من الزرادشتية]

إنّ ما ذكره تسدال من نقاط متشابهة لما ورد في القرآن الكريم ، وهي عند الزرادشتية كقصة المعراج فهذه القصة لم تذكر عندهم في كتب يصح الاعتماد عليها ، وإن وجد مثل ذلك فعلى اعتبار أنّ أصل هذه الديانات سماوي ، أو تأثرت بما هو سماوي، ولا مانع أن تتكرر مثل هذه الحادثة في عدة ديانات لوحدة المصدر، وأمّا الاتفاق بين الزرادشتية في شأن الجنة والنار، وملك الموت والشيطان والصراط فهذا أمر ذكرته كل الديانات السماوية

(١) ينظر : آراء المستشرقين حول مصدر القرآن الكريم وتفسيره ، ٢٦٨
(٢) ينظر: آراء المستشرقين حول مصدر القرآن الكريم وتفسيره ، ٢٨٢
(٣) ينظر: تأثيرات زرادشتية (فارسية) في الأديان -٣- موقع الحوار المتمدن ، ٢٥/ ١/ ٢٠١٤
(٤) ينظر: آراء المستشرقين حول مصدر القرآن الكريم وتفسيره ، ٢٨٣

لوحدة المصدر ، أمّا بالنسبة إلى البسملة والتوافق بين الإسلام والزرادشتية على مثلها فهو أمر عام عند كل شعوب الأرض أن تبدأ مراسلتهم باسم السلطة ، أو الجهة الحاكمة للبلد والله هو المثل الأعلى [١]، وذكر تسدال أنّ خروج عزرائيل (الشيطان) كان من النار ونسب موطن ذلك في الإسلام لبعض الكتب الاسلامية كقصص الأنبياء للثعلبي إلّا أنَ ما عند الثعلبي هو ما عند كل المسلمين فخروج عزازير كان مع آدم وحواء ﷺ من الجنة[٢].

كما أن زرادشت نفسه بشَّر بمحمد ﷺ إذ قال: (تمسكوا به إلى أن يجيئكم صاحب الجمل الأحمر)[٣].

رابعًا / شبهة اقتباس القرآن الكريم من الصابئة.

زعم المستشرقون أنّ القرآن أخذ من الصابئة : الصلوات الخمس الصلاة على الميت صيام شهر رمضان القبلة ، وتعظيم مكة تحريم الميتة ، وتحريم لحم الخنزير ، وتحريم الزواج من القرابات [٤]، كما زعم المستشرقون أنّ اسم الصابئة مشتق من الاصل العبري (صبأ) أي غطس ثم سقطت العين وهو يدل على المعمدانيين الذين يمارسون شعيرة التعميد أو الغطاس[٥].

إنّ كلمة صابئي أصلها عربي، فهي من مادة صبأ يصبأ صبوءًا أي: خرج من دين إلى دين آخر، كما تصبأ النجوم أي تخرج من مطالعها[٦].

وقد اختلف الناس في هذه الفرقة، فقال بعضهم إنّهم وثنيون وذلك لعبادتهم الأصنام والكواكب والملائكة وتقديم القرابين لها ! ، وقال بعضهم إنّهم من اليهود ؛ وذلك لموافقتهم اليهود في طريقة الذبح وحلق القرابين وقال آخرون إنّهم فرقة من النصارى ؛ لالتقائهم معهم في التعميد في الماء، ولتعظيمهم يوم الأحد، ولاتفاقهم معهم في بعض الأعياد ،

(١) ينظر : المصدر نفسه ، ٢٨٦
(٢) ينظر: المصدر نفسه ، ٢٨٦
(٣) ينظر: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره ، ٢٨٦-٢٨٧
(٤) ينظر : المستشرقون والقرآن الكريم ، ٢٠٦
(٥) ينظر : دائرة المعارف الإسلامية ، ١٤/ ٨٩
(٦) ينظر : آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره ، ٢٧٠

واتَّهم المستشرقون المسلمين بالأخذ منهم، لما يجمع بينهم من صلاة وتوجه للقبلة ، وصيام وارتقاب وانتهائه بأحد الكواكب ، وبتلبية على حد زعمهم [١].

[الرد على شبهة اقتباس القرآن الكريم من الصابئة]

إنّ أوجه التشابه بين ما جاء في القرآن الكريم وبين عقائد الصابئة يمكن إجمالها بما يأتي:

أولًا: الصلاة

تختلف صلاة المسلمين عن صلاة الصابئة، فصلاة الصابئة الأولى قبل طلوع الشمس بنصف ساعة أو أقل ، وصلاتهم الثانية تنقضي مع زوال الشمس ، وهي خمس ركعات وثلاث سجدات في كل ركعة ، والصلاة الثالثة مثل الثانية وقضاؤها يكون عند غروب الشمس ، كما أنّ صلواتهم النافلة مختلفة عما لدى المسلمين، ولا صلاة عندهم إلّا تفصل على طهور؛ لذا فإن الشبه باطلة ينقصها الدليل ويردها الواقع ، وهذا أمر تلبيسي وتدليس لا أكثر، ولم يخلو دين من الأديان من وجود شعائر تعبيرية، وعلى رأسها الصلاة ، كاليهودية والنصرانية [٢].

ثانيًا: الصوم

إنّ من ينظر بعين فاحصة للصيام عند الصابئة وعند المسلمين يجد أنّ الاجتماع والاتفاق ينحصر في كلمة الصوم لا غير ، أمّا الحقيقة والصورة فهما مختلفان تمامًا ، فصيام الصابئة ليلًا بينما صيام المسلمين نهارًا وصيامهم متفرق بينما صيام المسلمين شهر كامل ، وهو ليس عند كل فرقهم بل عند طائفة منهم تسمى (الحواريين) ، أمَّا المندائيون فيحرمون الصيام ، كما أنّ هناك اختلافًا في دقة الصيام بين الفريقين وكل ذلك يبطل هذه الشبهة[٣].

(١) ينظر: المصدر نفسه ، ٢٧٢
(٢) ينظر : آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره ، ٢٧٣- ٢٧٤
(٣) ينظر: المصدر نفسه ، ٢٧٧

النتائج

توصل البحث الى عدد من النتائج يمكن إجمالها فيما يأتي:-

١- تركزت جهود المستشرقين على بعض القضايا العقائدية والتشريعية والعبادات في محاولاتهم إرجاع القرآن الكريم الى مصادر دينية متعددة .

٢- الوحي هو الاصل المشترك للديانات الإبراهيمية الكبرى الثلاث : اليهودية، المسيحية ، الإسلام، وهذا يبرر ويفسر وجود تشابه وتوافق بين عدة قضايا وردت في هذه الكتب المقدسة ، إلَّا أنّ القرآن الكريم بوصفه آخر وأكمل الكتب المقدسة ، ولم يمسه التحريف والتبديل ، جاء ليكمل الرسالة الإلهية ويزيد عليها وينقي ما لحق بالكتب السابقة.

٣- استعمل المستشرقون في دراسة أصول القرآن الكريم المنهج الذي طبقوه في دراستهم للكتاب المقدس، ولئن كان هذا المنهج صالحًا لدراسة الكتاب المقدس، فإنّه غير صالح للتطبيق على القرآن الكريم .

٤- إنّ كل الشبهات والافتراءات التي أطلقها المستشرقون حول مصادر القرآن ، تكشف عن قصور الفهم للرسالة المحمدية ، ولطبيعة هذه الرسالة ، وطبيعة المجتمع الذي أنزلت فيه ، وطبيعة اللغة العربية ودقائقها وأسرارها.

٥- تكشف الافتراءات والشبهات التي أطلقها المستشرقون حول مصادر القرآن الكريم عن نوايا خبيثة تهدف الى تشكيك المسلمين بدينهم ، الذي يعد مصدر قوتهم ووحدتهم ، ومن ثمَ التمكن من السيطرة عليهم وجعلهم خاضعين للغرب سياسيا واقتصاديًّا.

٦- ينبغي أن تكون الردود على افتراءات وشبهات المستشرقين حول مصادر القرآن الكريم منطلقة من الأسس نفسها التي انطلق منها المستشرقون سواءًا كان هذا الأساس دينيًّا أم عقليًّا منطقيًّا ، فليس من الصحيح أنّ يرد على مستشرق ملحد ومادي يسوق مزاعم مستنبطة بواسطة العقل والمنطق بآيات من القرآن الكريم.

المصادر والمراجع

١. آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره دراسة ونقد ، عمر بن إبراهيم رضوان، دار طيبة للنشر والتوزيع ط١ الرياض ١٩٩٢م.

٢. الأثر الاستشراقي في موقف محمَّد أركون من القرآن الكريم، محمَّد بن سعيد السرحاني ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية، ١٤٢٧هـ.

٣. الأدب العربي وتاريخه في العصر الحديث محمد هاشم عطية مطبعة الحلبي القاهرة ١٩٣٦.

٤. أساليب فهم النص القرآني ومصادر دراسته عند المستشرقين ، عادل عباس النصراوي ، المركز الاسلامي للدراسات الاستيراتيجية السنة الثالثة العدد ٧ كربلاء ١٤٣٧.

٥. الاستشراق والتبشير ، محمد عزت إسماعيل الطهطاوي ، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ، بيروت :ط٢، ١٩٨٢م.

٦. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، محمود زقزوق ، دار المنار ، ط٢ القاهرة ١٩٨٩م.

٧. الاستشراق والقرآن العظيم، محمد خليفة، ترجمة، مروان عبد الصبور، دار الاعتصام، ط١، ١٩٩٤م.

٨. الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم ، مصطفى السباعي ، دار الوراق للنشر والتوزيع ، ط١ بيروت ١٩٧٩م.

٩. أوروبا والإسلام ،عبد الحليم محمود ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٩٨م.

١٠. تأثيرات زرادشتية (فارسية) في الأديان -٣- موقع الحوار المتمدن : ٢٥/ ١/ ٢٠١٤.

١١. ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند الغرب ، عبد الله الندوي ، سلسلة دعوة الحق رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ١٩٩٦م .

١٢. تفسير ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، دار الأحياء للكتب العربي ، ط١ بيروت ١٩٨٨م .

١٣. حاضر العالم الإسلامي ، شكيب أرسلان ، دار الفكر ، ط٤ بيروت ١٣٩٣ .

١٤. حضارة العرب، غوستاف لوبون ، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.

١٥. الدفاع عن القرآن ضد منتقديه ، عبد الرحمن بدوي ، تر : كمال جاد الله الدراسات العالمية للكتب والنشر القاهرة .

١٦. الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية ، مكسيم رو دنسون ،مقالة في كتاب (تراث الإسلام) القسم الأول تصنيف : شاخت وبوزورث تر : محمد زهير السمهوري سلسلة عالم المعرفة الكويت ١٩٨٧ م

١٧. العرب في التاريخ ، لويس برنارد تر : نبيه أمين فارس يوسف زايد ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٥٤ م .

١٨. فتح الباري ، أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني ، المطبعة الأخبرية للخشاب ، القاهرة ١٩٨٧

١٩. ما يقال عن الإسلام ، عباس محمود العقاد ، سلسلة كتاب الهلال دار الهلال ، القاهرة ١٣٨٦ م .

٢٠. مدخل الى القرآن ، محمد عبد الله دراز ، دار القلم ، الكويت، ١٩٨٤م.

٢١. المستشرقون والإسلام ، عرفان عبد الحميد ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ١٩٦٩ م

٢٢. المستشرقون البريطانيون ، أ.ج آربري تر: محمد الدسوقي النويهي ، منشورات وليم كولنيز ، لندن ١٩٤٦ م.

٢٣. المستشرقون والتاريخ ، علي الخربوطي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٨ م .

٢٤. المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ، محمد صالح البنداق ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٨٣ م .

٢٥. المستشرقون والدراسات القرآنية، محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي ، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٢٦. المستشرقون والقرآن الكريم ، محمد أمين حسن محمد بني عامر ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، ط١ أربد – الأردن ٢٠٠٤ م

٢٧. مصدر القرآن ودراسات لشبهات المستشرقين والمبشرين حول الوحي ، إبراهيم عوض مكتبة زهراء الشرق.

٢٨. الموقف الأدبي من الشعر الجاهلي ، محمد رجب البيومي ،مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الرياض

٢٩. نظرية الإجاد بين المستشرقين والمسلمين ، صلاح الدين عبد الوهاب ، مجلة الأزهر المجلد ٣٤ ، القاهرة ١٣٨٢ م .

٣٠. الوعي الإسلامي ، محمد رشيد رضا ، المكتب الإسلامي ط٨.

٣١. الوحي القرآني من المنظور الاستشراقي ونقده ، محمود ماضي ط١ ، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع الإسكندرية ١٩٩٦ م .

٣٢. وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة نقض مزاعم المستشرقين، حسن ضياء الدين، دار المكتبي للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ١٤١٩هـ.